الكتاب السادس

٦

برنامج مهمات العلم

شرح

العقيدة الواسطية

تصنيف الإمام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

ت ٧٢٨ رحمه الله رحمة واسعة

أملاه فضيلة الشيخ

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي صَيَّرَ الدِّينَ مَرَاتِبَ وَدرَجَاتٍ، وَجَعَلَ لِلْعِلْمِ بِهِ أُصُولًا وَمُهِمَّاتٍ، وَأَشْهدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَقًّا، وَأَشْهدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَحَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّيُوخِ وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُمْ، بِإِسْنَادِ كُلٍّ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي قَابُوسَ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَٰنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ؛ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**».

وَمِنْ آكَدِ الرَّحْمَةِ رَحْمَةُ المُعَلِّمِينَ بِالمُتَعَلِّمِينَ، فِي تَلْقِينِهِمْ أَحْكَامَ الدِّينِ، وَتَرْقِيَتِهِمْ فِي مَنَازِلِ اليَقِينِ.

وَمِنْ طَرَائِقِ رَحْمَتِهِمْ: إِيقَافُهُمْ عَلَى مُهِمَّاتِ العِلْمِ؛ بِإِقْرَاءِ أُصُولِ المُتُونِ، وَتَبْيِينِ مَقَاصِدِهَا الكُلِّيَّةِ، وَمَعَانِيهَا الإِجْمَالِيَّةِ؛ لِيَسْتَفْتِحَ بِذَٰلِكَ المُبْتَدِئُونَ تَلَقِّيَهُمْ، وَيَجِدُ فِيهِ المُتَوَسِّطُونَ مَا يُذَكِّرُهُمْ، وَيَطَّلِعُ مِنْهُ المُنْتَهُونَ إِلَى تَحْقِيقِ مَسَائِلِ العِلْمِ.

وَهَٰذَا شَرْحُ الكِتَابِ السَّادِسِ مِنْ (بَرْنَامَجِ مُهِمَّاتِ العِلْمِ) فِي (سَنَتِهِ السَّادِسَةِ)، سِتٍّ وَثَلَاثِينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ، وَهُوَ كِتَابُ «اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ»، المَعْرُوفُ شُهْرَةً بِـ«العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ»، لِشَيْخِ الإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ النُّمَيْرِيِّ الحَرَّانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، المُتَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى باللهِ شَهِيدًا، وأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا .

ٱعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: الإِيمَانُ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

ٱبتدأ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة، ثمَّ أردفها بحمد الله، وذكَر الشَّهادتين مقرونتين، ثمَّ صلَّى وسلَّم على محمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلَّى وسلَّم على آله صلَّى الله عليه وعليهم وسلَّم تسليمًا مزيدًا.

ثمَّ ذكر (ٱعْتِقَادَ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ)؛ لأن الحكمة من خلْق الجنِّ والإنس هي عبادة الله، **والخطاب الشَّرعيُّ المُحقِّقُ ٱمتثالُه عبادةَ الله نوعان:**

أحدهما: الخطاب الشَّرعيُّ الخبريُّ.

والآخر: الخطاب الشَّرعيُّ الطَّلبيُّ.

ومُتعلَّق الأوَّل: الاعتقادات الباطنة، وجماعُها: أركان الإيمان السِّتَّة الَّتي سردها المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأشار إلى الخامس منها – وهو الإيمان باليوم الآخر – بقوله: (وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ)؛ لأنَّ البعثَ أعظم مسائلِه الَّتي أنكرها المشركون، فاختار المصنِّف في الخبر عن الإيمان باليوم الآخر الإخبارَ بالبعثِ بعد الموت؛ لجلالة رتبته من الإيمان باليوم الآخر.

والاعتقاد الصَّحيح هو الموافق للحقِّ الَّذي جاء به الشَّرع، وأهلُه هم المتَّبعون للسُّنَّة المجتمعون عليها، فسُمُّوا (أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ) تمييزًا لهم عمَّنْ خالف السُّنَّة وفارق الجماعة، وٱختصُّوا بأنَّهمُ (الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ المَنْصُورَةُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ)، وهَٰذِهِ الرِّسالة هي في بيان عقيدتهم.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورى:١١].

قال الشَّارح وفّقه الله:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ (مِنَ الإِيمَانِ باللهِ الإِيمَانَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ)، (وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ) صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وهو مبنيٌّ على أصلين مجموعين فيما ذكرهما المصنِّف:**

فالأصل الأوَّل: هو **النَّفيُ**؛ وحقيقتُه: نفيُ ما نفاه الله عن نفسِه، أو نفاهُ عنهُ رسولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ودليلُه في الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، **ولهَذَا الأصل شرطان:**

فالشَّرط الأوَّل: السَّلامة من **التَّحريف**؛ وهو: تغيير مبنى خطاب الشَّرع أو معناه.

والمراد بالمبنى: اللَّفظ.

والشَّرط الثَّاني: السَّلامة من **التَّعطيل**؛ وهو: إنكار ما يجب لله من الأسماء والصِّفات.

والأصل الثَّاني: **الإثبات**؛ وحقيقته: إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبتَه له رسولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ودليله في الآية: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، **ولهَذَا الأصل شرطان:**

فالشَّرط الأوَّل: السَّلامة من **التَّكييف**؛ وهو: تعيين كُنْه الصِّفة الإلهيَّة.

والمراد بالكُنهِ: الحقيقة.

والشَّرط الثَّاني: السَّلامة من **التَّمثيل**؛ وهو: تعيين كُنْه الصِّفة الإلهيَّة بِذِكْر مماثلٍ لها.

وجُمِع بين التَّحريف والتَّعطيل، وبين التَّكييف والتَّمثيل؛ للمناسبة بينها، فالتَّحريف يُفضي إلى التَّعطيل، والتَّكييف يُفضي إلى التَّمثيل.

وعُمدة هَٰذَا الباب: النَّقل المحضُ من كلام الله وكلام رسولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالخبر عن أسماء الله وصفاتِه لا بدَّ أن يكون مرجوعًا فيه إلى ما وصف وسمَّى الله به نفسَه أو وصفَه وسمَّاه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفيًا وإثباتًا؛ لأنَّه خبرٌ عن غيبٍ، والغيب لا يُطَّلَع عليه إلا بالوحي، والوحي هو كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويُشار في كتب العقائد إلى الأصل الأول - وهو النَّفي - بقولهم: (تنزيهُ الله عمَّا لا يليق)، ويُشار إلى الأصل الثَّاني - وهو الإثبات - بقولهم: (الإثبات)، وهَٰذَان الأصلان دُلَّ عليهما في خطاب الشَّرع بما يبيِّنُهُمَا.

فالأصل الأوَّل - وهو النَّفي - **دُلَّ عليه بلفظين**:

أحدهما: التَّسبيح.

والآخر: التَّقديس.

والأوَّل أكثر ذِكْرًا فيه.

والأصل الثَّاني - وهو الإثبات - دُلَّ عليه بالتَّحميد.

وغلب في كتب الاعتقاد ذِكْرُ النَّفي والإثبات دون ذِكْر المعهود الشَّرعيِّ؛ لأنَّهما أبينُ في إحقاق الحقِّ وإبطال الباطل عند مناقضة أهل البدع المخالفين في هَٰذَا الباب.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصَّافَّات]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى المُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ المُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

تقدَّم أنَّ باب الصِّفات عند أهل السُّنَّة والجماعة مبنيٌّ على أصلين سبق ذِكْرهما، ونشأ من إعمالِهما خمسُ قواعدَ من قواعد هَٰذَا الباب.

فالقاعدة الأولى: أنَّ أهل السُّنَّة لا ينفون عن الله (مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ).

والقاعدة الثَّانية: أنَّهم (لَا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ).

والقاعدة الثَّالثة: أنَّهم (لَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ).

والإلحاد في أسماء الله وآياته هو: الميل بها عمَّا يجب فيها؛ فكلُّ عدولٍ بها عما أُمِر به شرعًا هو إلحادٌ.

والقاعدة الرَّابعة: أنَّهم (لَا يُكَيِّفُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ).

والقاعدة الخامسة: أنَّهم (لَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ).

وموجِبُ القولِ بهٰذه القواعد الخمس عند أهل السُّنَّة أمران:

أحدهما: أنَّ الله (لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى).

والآخر: أنَّ (رُسُلَهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ).

وطريق الرُّسل الَّذي جاؤوا به هو إثبات الأسماء والصِّفات مع تنزيه الله عن النَّقائص والآفات.

و(لَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ) عن طريق الأنبياء والرُّسل؛ لأنَّه الصِّراط المستقيم.

والقول عند أهل السُّنَّة في الأسماء والصِّفات كالقول في الذَّات الإلهيَّة، فإنَّ إثباتَ الذَّاتِ إثباتُ وجودٍ لا نعلم حقيقتَها، فكذٰلِكَ يكون إثباتُ صفاتِ الله إثباتَ وجودٍ دون علمِ كيفيَّتِها.

وهٰذَا هو الذي أراده العلماء بقولهم: (القول في الصِّفات كالقول في الذَّات). ذكره الخطَّابيُّ، والخطيبُ البغداديُّ، وقوَّام السُّنَّة الأصبهانيُّ، في آخرين.

ومعناه ما تقدَّم؛ مِن أنَّنا نثبت صفات الله مع قطع عِلْمِنا بكيفيتها؛ كإثباتنا ذات الله مع قطْع عِلْمِنا بكيفيتها.

وذكر المصنِّف في جملة كلامِه هنا قاعدةً شريفةً في باب الأسماء والصِّفات فقال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ)، **ولها معنيان:**

۞ **أحدهما**: أن يكون النَّفي والإثبات واقعين في جميع الأسماء والصِّفات؛ ففي الأسماء

نفيٌ وإثباتٌ، وفي الصِّفات نفيٌ وإثباتٌ، وهَٰذَا حقٌّ.

فأسماء الله عَزَّوَجَلَّ باعتبار النَّفي والإثبات نوعان:

أوَّلهما: الأسماء النَّافية؛ مثل: السَّلام، والقُدُّوس.

والثَّاني: الأسماء المثبِتة؛ مثل: الله، والرَّحْمَٰن، والرَّحيم.

ويكون النَّفي الموجود في الأسماء مُتعلِّقًا بالمعنى دون المبنى؛ فالأسماء الإلٰهيَّة جاريةٌ على الإثبات في مبناها، وأمَّا في المعنى: فيكون منها ما معناه النَّفي؛ كالاسمين المذكورين، فإنَّهما يتضمَّنان تنزيه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عمَّا لا يليق.

وكذَٰلِكَ الصِّفات الإلٰهيَّة هي باعتبار النَّفي والإثبات نوعان:

أوَّلهما: الصِّفات المنفيَّة؛ كالنَّوم، والظُّلم.

والثَّاني: الصِّفات المُثبَتة؛ كالإلٰهيَّة، والرَّحمة.

والفرق بين النَّفي الواقع في الأسماء والواقع في الصِّفات: أنَّ نفي الأسماء يكون في المعنى دون المبنى، وأمَّا نفي الصِّفات فيكون في المبنى والمعنى معًا.

۞ **والآخر**: أن يكون النَّفي والإثبات واقعين في مجموع الأسماء والصِّفات، لا في جميعها؛ فيشتركان في الإثبات، وتختصُّ الصِّفات بالنَّفي، وهَٰذَا حقٌّ أيضًا، وهو أشهر في كلام أهل العلم من الأوَّل.

فيجعلون الأسماء مُختصَّةً بالإثبات، ويجعلون الصِّفات حائزةً دائرةَ النَّفي والإثبات معًا.

والنَّفي في هَٰذَا الباب ليس كمالًا في نفسه؛ فلا يُراد لذاته، بل يُراد إثبات مقابِله من الكمال؛ فنفي النَّوم مثلًا يُراد به إثبات القَيُّوميَّة، ونفي الظُّلم مثلًا يُراد به إثبات العدل، وكلُّ نفيٍ ورد في الصِّفات الإلٰهيَّة فالمراد منه إثبات الكمالِ المقابلِ له.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَـٰذِهِ الجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة]؛ أَيْ: لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ.

وَلِهَـٰذَا كَانَ مَن قَرَأَ هَـٰذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التحريم].

﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم].

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾ [سبأ:٢].

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام].

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فاطر:١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف:٣٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة].

﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحجرات].

﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧﴾ [التوبة].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة].

﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [الصف].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ﴾ [المائدة:١١٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [الفاتحة].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب].

وَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعام:٥٤].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس].

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء:٩٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الزخرف:٥٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ﴾ [البقرة:٢١٠].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام:١٥٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحْمَن].

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ [القصص:٨٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ﴾ [ص:٧٥].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة:٦٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾ [الطور:٤٨].

﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر].

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه].

وَقَوْلُـــــهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ﴾ [المجادلة:١].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ﴾ [آل عمران:١٨١].

﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق:١٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النمل].

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [المنافقون:٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص].

وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرَّحمَن].

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم].

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص].

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن].

وَقولُـــــهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان].

وَقولُهُ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢﴾ [المؤمنون].

وَقولُهُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل].

وَقولُـــــهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف].

وَقولُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾ في سِتَّةِ مَوَاضِعَ [الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤].

وَقولُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥].

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [النساء:١٥٨].

وَقولُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر:١٠].

وَقولُهُ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ ۝٣٧﴾ [غافر].

وَقولُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [الملك].

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾ [التوبة:٤٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ [الأنعام:١١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٣].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ [الشعراء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾ [الأعراف].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٦٢﴾ [القصص].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾ [القصص].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة:٧٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ [الفتح:١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف:٢٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾ [النمل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الحشر:٢١].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾ [النحل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة].

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾ [المطففين].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس:٢٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ٣٥﴾ [ق].

وَهَذَا البَابُ فِي كِتَابِ الله كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِبَ الهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

لَمَّا قرَّر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاعدةَ أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصِّفات؛ ذكر آياتٍ وأحاديثَ تدخلُ في الجملة المتقدِّمة وتتضمَّن طرفًا حسنًا منها.

وموجِبُ ٱقتصارِه على الآيِ والأحاديثِ في هَٰذَا الباب هو كونه مردودًا إلى الوحي من الكتاب والسُّنَّة.

وهَٰذَا معنى قول أهل العلم: (الأسماء والصِّفات توقيفيَّةٌ)؛ أي: موقوفٌ ما يتعلَّق بها على ورود الدَّليل من كتاب الله أو سُنَّة الرَّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما ورد في آثار الصَّحابة هو من جملة السُّنَّة؛ لأنَّها في هَٰذَا الباب لا تُقال من قِبَل الرَّأي، فلها حُكم الرَّفع، وما خرج عن الكتاب والسُّنَّة فلا يُثبَت به ٱسمٌ ولا صفةٌ لربِّنا عَزَّوَجَلَّ.

وٱستغنى المصنِّف بسياق الآيات والأحاديث إجمالًا عن تفصيل ما فيها من المعاني؛ لظهور دلالاتها على ما أراد من الأسماء والصِّفات.

وعِدَّة الأدلَّة القرآنيَّة: مائةٌ وأحدَ عشر.

وعِدَّة الأدلَّة الحديثيَّة: ستَّة عشر.

وعِدَّة الأسماء الإلهيَّة الواردة في الآيات القرآنيَّة المذكورة: ثمانيةٌ وعشرون ٱسمًا.

الأوَّل: الله؛ قال الله تعالى: (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص])، وقال: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:٢٥٥])، وقال: (﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ ...﴾ [الطلاق:١٢])، في آيٍ أُخَرَ ذكرها.

والثَّاني: الأحد؛ قال تعالى: (﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص])، ولم يأتِ مُعرَّفًا في القرآن؛ بل صحَّ في الحديث.

والثَّالث: الصَّمدُ؛ قال الله تعالى: (﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾ [الإخلاص])؛ وهو: السَّيِّد الكامل المقصود في الحوائج.

والرَّابع والخامس: الحيُّ، والقيُّوم؛ قال الله تعالى: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥])، وقال: (﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]).

والسَّادس والسَّابع: العليُّ، والعظيم؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة]).

والثَّامن والتَّاسع والعاشر والحادي عشر: الأوَّل، والآخِر، والظَّاهر، والباطن؛ قال الله تعالى: (﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد:٣]).

وصحَّ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عند مسلم من حديث أبي هريرةَ تفسير (الأوَّل) بأنَّه: الَّذي ليس قبله شيءٌ، وتفسير (الآخر) أنَّه: الَّذي ليس بعده شيءٌ، وتفسير (الباطن) أنَّه: الَّذي ليس دونه شيءٌ، وتفسير (الظَّاهر) أنَّه: الَذي ليس فوقه شيءٌ، وإذا صحَّ التَّفسير عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يُحتج معه إلى غيره. ذكره الطَّبريُّ وغيره.

والثَّاني عشر والثَّالث عشر والرَّابع عشر: العليم، والحكيم، والخبير؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢﴾ [التحريم])، وقال: (﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾ [التحريم]).

والخامس عشر: الرَّزَّاق.

والسَّادس عشر: ذو القوَّة؛ أي: صاحبُها.

والسَّابع عشر: المتين؛ وهو: شديد القوَّة؛ قال الله تعالى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات]).

وذو القوَّة: ٱسمٌ إلهيٌّ إضافيٌّ، وسيأتي بيان قاعدة الأسماء الإلهيَّة المفردة والمضافة.

والثَّامن عشر والتَّاسع عشر: السَّميع، والبصير؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى])، وقال: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء]).

والعشرون والحادي والعشرون والثَّاني والعشرون: الغفور، والرَّحيم، والرَّحْمَٰن؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس])، وقال: (﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران])، وقال: (﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [الفاتحة]).

والثَّالث والعشرون: الرَّبُّ؛ قال الله تعالى: (﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧])، وقال: (﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]) في آياتٍ أُخَر.

ولم يأتِ هَٰذَا الاسم في القرآن مُعرَّفًا بـ (أل)، لَٰكِن صحَّ في الحديث.

والرَّابع والعشرون والخامس والعشرون: العفوُّ، والقدير؛ قال الله تعالى: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء]).

والسَّادس والعشرون: أرحم الرَّاحمين؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف]).

والسَّابع والعشرون: خير الماكرين؛ قال الله تعالى: (﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال]).

والثَّامن والعشرون: عالم الغيب والشَّهادة؛ قال الله تعالى: (﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ [التَّوبة:٩٤]).

والأسماء الثَّلاثة الأخيرة من الأسماء الإلٰهيَّة المضافة؛ **فأسماء الله باعتبار الإفراد والإضافة نوعان:**

أحدهما: الأسماء المفردة؛ مثل: ٱسم الله، والرَّحْمَٰنِ، والرَّحيم.

والثَّاني: الأسماء المضافة؛ مثل: ٱسم ربِّ العالمين، ومالكِ الملك، وعالم الغيب والشَّهادة.

وممَّنْ أشار إلى الأسماء المضافة: ٱبن تيميَّة الحفيد، وشيخنا ٱبن بازٍ، ونَقَل الأوَّلُ إجماعَ المسلمين على دعاء الله بها.

وزاد ٱبن القيِّم في «بدائع الفوائد» و«شفاء العليل» نوعًا ثالثًا، وهو: الأسماء المزدَوِجة المتقابلة؛ مثل: ٱسم المعطي المانع، والقابض الباسط، والضَّارُّ النَّافع.

فهٰذِهِ الأسماء يجري كلُّ متقابلين منها مجرى الاسم الواحد الَّذي يمتنع فصل بعضِ حروفه عن بعضٍ، فلا يكون أحدهما ٱسمًا لله على الاستقلال؛ بل مع التَّركيب.

وليس في أدلَّة النَّقل ما يمكن الاستدلال به على هٰذَا النَّوع سوى ما رواه أصحاب السُّنن إلَّا النَّسائيَّ عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إنَّ الله هُوَ المُسَعِّرُ القَابِضُ البَاسِطُ الرَّازِقُ**»، وإسناده صحيح، وبقيَّة ما عدَّه ٱبن القيِّم في هٰذَا النَّوع لا يثبت فيه شيءٌ، والله أعلم.

وهٰذه الأسماء الثَّمانية والعشرون تتضمَّن إحدى وثلاثين صفةً هي: الألوهيَّة، والأحديَّة، والصَّمديَّة، والحياة، والقيُّوميَّة، والعُلُوُّ، والعَظَمَةُ، والأوَّليَّة، والآخِريَّة، والظُّهور، والبُطون، والعِلم، والحُكم، والحِكمة، والخَبَر، والخُبْر، والخِبرة،

والـرِّزق - بفـتح الـرَّاء وكسـرها -، والقـوَّة، والمَتَانَـةُ، والسَّـمْع، والبَصَـرُ، والبُصْـرُ، والبَصيرة، والمغفرة، والرَّحمة، والرُّبوبيَّة، والعَفْوُ، والقُدْرَة، والتَّقدير، والمَكر.

ووجه ٱستفادة هَٰذِهِ الصِّفات هو من الأسماء الإلٰهيَّة المتقدِّمة؛ فكلُّ ٱسمٍ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ يتضمَّن صفةً من صفاته أو أكثر؛ فمن طرائق إثبات الصِّفات كونُها مُضَمَّنَةً الأسماءَ، وإليه أشرتُ بقولي:

أسمـــاءُ ربِّـــنا على الصِّفـات　　　مـــن الأدلَّـــة لِـذِي الإثبـات

أي: عند أصحاب إثبات الصِّفات.

فكلُّ ٱسمٍ من أسماء الله يدلُّ تَضَمُّنًا على صفةٍ من صفات ربِّنا عَزَّوَجَلَّ، وقد يتضمَّن الاسمُ أكثر من صفةٍ، لَـٰكِن لا بدَّ أن يساعد على ذَٰلِكَ الوضعُ اللُّغويُّ، ولا يأباه النَّقلُ الشَّرعيُّ.

فاسم (الله) فيه صفةٌ واحدةٌ؛ هي: صفة الأُلوهيَّة.

وٱسم (الحكيم) فيه صفتان؛ هما: الحُكم، والحِكمة.

وٱسم (البصير) فيه ثلاث صفاتٍ؛ هي: البَصَر، والبُصْر، والبصيرة.

فمتى ساعد الوضع اللُّغويُّ على الدِّلالة على ما تضمَّنه ٱسمٌ من صفاتِ ربِّنا ولم يأباه النَّقل الشَّرعيُّ أُثبِتت تلك الصِّفات.

وذكر المصنِّف أدلَّةً مستقلَّةً لجملةٍ من الصِّفات المتقدِّم ذِكْرُها؛ كصفة الألوهيَّة، والعلم، والسَّمْع، والرَّحمة، والحُكم، والحِكمة، والتَّقدير، والمكرِ، والعُلُوِّ، فإنَّه ذكر لهَٰذه الصِّفات أدلَّةً مستقلَّةً غير ما تقدَّم من كونها مستفادةً من أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وذكر صفاتٍ إلٰهيَّةً أخرى على وجه التَّصريح بها، لا ترجع إلى الأسماء المتقدِّمة؛ وهي سبعٌ وأربعون صفةً:

الأولى: صفة المُلْك؛ قال الله تعالى: (﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس:٦٨]) الآيةَ، وقال: (﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [التغابن:١]).

والثَّانية والثَّالثة: المشيئة، والإرادة؛ قال تعالى: (﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة:٢٥٥])، وقال: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البقرة])، في آيٍ أُخَر ذكرها.

والفرق بينهما: أنَّ الإرادة تتعلَّق بأمر الله الكونيِّ والشَّرعيِّ، وتختصُّ المشيئة بتعلُّقها بأمر الله الكونيِّ فقط.

والرَّابعة والخامسة: الحفظ، والقدرة؛ قال الله تعالى: (﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ [البقرة:٢٥٥])، وقال: (﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الطلاق:١٢])، وقال: (﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾ [يوسف:٦٤]).

ومعنى ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾: (لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ)؛ أي: لا يهمُّه؛ ثبت هَٰذَا في الآثار عن ٱبن عبَّاسٍ ومجاهدٍ، فلا يُعجِزُه سبحانَه حِفْظ السَّماوات والأرض ولا يكلِّفه ذَٰلِكَ شيئًا.

والسَّادسة: المحبَّة؛ قال الله تعالى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة])، وقال تعالى: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧﴾ [التوبة])، في آيٍ أُخَر ذكرها المصنِّف.

والسَّابعة: الكتابة؛ قال الله تعالى: (﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام:٥٤]).

والثَّامنة: الرِّضا؛ قال الله تعالى: (﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [المجادلة:٢٢]).

والتَّاسعة والعاشرة: الغضب، واللَّعن؛ قال الله تعالى: (﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء:٩٣]).

والحادية عشْرة والثَّانية عشْرة: السَّخط، والرِّضوان؛ قال الله تعالى: (﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ [محمد:٢٨]).

والسَّخَط، والسُّخْط: بفتح السِّين وضمها لغتان صحيحتان؛ وهو: شدَّة الغضب.

والرِّضوان، والرُّضوان: بكسر الرَّاء وضمِّها لغتان صحيحتان أيضًا.

فيجوز ذِكْر الصِّفة بكلٍّ واحدٍ منهما.

والثَّالثة عشْرة والرَّابعة عشْرة: الأسَفُ، والانتقام؛ قال الله تعالى: (﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف:٥٥])، والأسَف هو: شدَّة الغضب.

والفرق بين السَّخط والأسَف: أن السَّخط شدَّةُ غضبٍ مقرونةٍ بكراهيَّةٍ أشدّ.

والخامسة عشْرة والسَّادسة عشْرة: الكراهة، والتَّثبيط؛ قال الله تعالى: (﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٦]).

والكراهة والكراهيَّة لغتان في هَٰذِهِ الصِّفة.

والتَّثبيط: الحبس والمنْع.

والسَّابعة عشْرة: المقت؛ قال الله تعالى: (﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف:٣]) الآية.

والمقت هو: أشدُّ البغض.

والثَّامنة عشْرة: الإتيان؛ قال الله تعالى: (﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة]) الآية، وقال: (﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام:١٥٨]).

والتَّاسعة عشْرة: المجيء؛ قال الله تعالى: (﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢]).

والفرق بين الإتيان والمجيء: أنَّ الإتيان أقوى، فالمجيء مجرَّد ورودٍ، أمَّا الإتيان فوُرُودٌ بقوَّةٍ وإقبالٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النَّحل:٢٦]، فالمناسب للعذاب شِدَّة الأخذ، ودُلَّ عليه بالفعل (أتى).

وقال الله في ٱبنةِ شعيب: (﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص:٢٥]، ففي مشيها تباطؤ وتثاقل يناسبه الفعل (جاء).

[إشكال]: أحد إخواننا في الرياض أورد عليَّ إشكالًا[1]، أورد قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف:١٢٩]، هل هَـٰذا يدلُّ على الاستواء أم لا يدلُّ؟

وجواب ذَٰلِكَ: أنَّ هَـٰذه الآية تُصدِّق المعنى الَّذي ذكرناه، فكان إتيانُه إليهم بالنُّبوَّة وهي أعظمُ، فأتى إليهم بأمرٍ قويٍّ هو النُّبوَّة، ثمَّ لـمَّا خالطهم صار بينهم نبيًّا، فدُلَّ على ٱبتدائه النُّبوَّةَ فيهم بأمرٍ عظيمٍ ٱستعظموه - وهو مجيء رسولٍ إليهم - فذُكِر بالإتيان أوَّلًا، ثمَّ لـمَّا ٱستقر بين أظهرهم عبَّروا عنه بالمجيء، والله أعلم.

وذكر المصنِّف في آيات الإتيان قولَه تعالَىٰ: (﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥﴾ [الفرقان:٢٥])؛ لأنَّ المذكور فيها يقع مقدِّمةً لإتيان الله، فلِمَا بينهما من التَّلازم ذُكِرَت في هَـٰذا الباب، فهي ليست صريحةً في صفة الإتيان، لكِنَّها ملازمةٌ لها، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا قضى أن يأتي تشقَّق السَّماء حينئذٍ بالغمام، ونُزِّل الملائكة تنزيلًا.

ويمكن أن تكون هَـٰذه الآية من آيات الصِّفات على قراءة ٱبن كثيرٍ: (وَنُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ)، إلَّا أنَّ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يقرأ بحرفِ أبي عمرو بنِ العلاء.

---

(١) والَّذي يورِد عليَّ إشكال هَـٰذا من أحبِّ النَّاس لي؛ لأنَّه يعينني على أن نفهم الشَّرع أكثر، والإنسان لا يضيق صدره بالإشكال؛ بل ينظر في فهْمه هل هو صحيح أم غير صحيح؟.

والعشـرون: صـفة الوجـه؛ قـال الله تعـالى: (﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحْمَن:٢٧])، وقال: (﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]).

والجلال هو: غاية العظمة.

والحادية والعشرون: صفة الإنفاق؛ قال الله تعالى: (﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]).

والثَّانية والعشرون: صفة اليدين؛ قال الله تعالى: (﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥])، وقال: (﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]).

واقتصر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ما ورد فيه ذِكْر اليدِ مثنَّاةً دون الإفراد والجمع مع ورودها كذَٰلِكَ في القرآن، فإنَّ اليد جاء ذِكْرُها مفردةً ومثنَّاةً ومجموعةً، واقتصر المصنِّف على التَّثنية لأنَّ المثنَّى إذا أُطلَق لم تُرَد به إلَّا حقيقتُه؛ بخلاف المفرد والجمع، فربَّما أُريد بالمفرد: الجنسُ، وأُريد بالجمع: التَّعظيم.

والصِّفة الثَّالثة والعشرون: صفة العينين؛ قال الله تعالى: (﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨])، وقال: (﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤])، وقال: (﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه:٣٩])، فهٰذه الآيات في إثبات صفة العينين لله.

وذُكِرت صفة العينين في خطاب الشَّرع على ثلاثة أنحاء:

أوَّلها: ذِكْرها بالجمْع؛ وهو الواقع في الآيتين الأولين عند المصنِّف.

والثَّاني: ذِكْرها بالإفراد؛ وهو الواقع في الآية الأخيرة عند المصنِّف.

والثَّالث: ذِكْرها بالتَّثنية؛ ولم تَرِد في القرآن الكريم، ولا جاءت صريحةً في الأحاديث الصَّحيحة، لَٰكِن ثبت في «الصَّحيحين» عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال في صفة الدجال: «**إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**»، **والعَوَر** في كلام العرب: صفة ذي عينين إحداهما معيبةٌ والأخرى سليمةٌ؛ **فالعَوَرُ لا يُطلَقُ إلا باجتماع أمرين:**

أحدهما: أن يكون الموصوف به ذا عينين؛ فلا يُطلَق على ذي عينٍ، ولا ذي أعينٍ.

والآخر: أن تكون إحدى عينيه معيبةً، والأخرى سليمةً.

ونَفْيُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العَوَر عن ربِّه يفيد إثبات كمال عينيه سبحانَه؛ إذ لو لم تكن له عينان على التَّثنية لما أطلق عليه نفْي العَوَر.

وإثبات العينين هو المعروف في كلام أئمَّة أهل السُّنَّة.

والحديث المذكور عُدَّ دليلًا على الوجه الَّذي تعرفه العرب من كلامها فيه؛ فلا يدخل في قول المصنِّف: (وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ)؛ إذ ليس فيه قياسٌ للخالق على المخلوق، ومَنِ ٱدَّعاهُ فقد غلِطَ؛ إذ هو من فَهْم الكلام العربيِّ وفْق وضعه، ولم يزل أهل السُّنَّة يستدلُّون بهذا الحديث في إثباته صفة العينين، ومِمَّنْ ذكره دليلًا من أكابرهم: أحمدُ ٱبن حنبلٍ، وعثمان بن سعيدٍ الدَّارميُّ.

والصِّفة الرَّابعة والعشرون: صفة الحمل؛ قال الله تعالى: (﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القمر]).

والخامسة والعشرون: صفة الرُّؤية؛ قال الله تعالى: (﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه])، وقال: (﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق])، في آيٍ أُخَر ذكرها المصنِّف.

والسَّادسة والعشرون: صفة المِحال؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣])، **والمِحال** هو: الغلبة بمكرٍ وكيْدٍ.

والسَّابعة والعشرون: صفة الكيْد؛ قال الله تعالى: (﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق]).

وهاتان الصِّفتان الأخيرتان (المحال والكيد) مع صفة (المكر) المتقدِّمة يظهر كمالها في مقابلةِ أهل المكر والمِحال والكيْد المستحقِّين للمجازاة بجنس صنيعهم، ومِن ثَمَّ وقعت

مُقيَّدةً بمقابلها، فلم يصف الله نفسَه بالمكر والمِحال والكيد على وجه الإطلاق؛ بل على وجه الجزاء لِمَنْ فَعَل ذَٰلِكَ، فيكون إثباتها على وجه التَّقييد ليظهر كمالها.

وقاعدة المسألة أنَّ الصِّفات الإلهيَّة باعتبار الإطلاق والتَّقييد تنقسم إلى نوعين:

أحدهما: صفاتٌ مطلقةٌ؛ وهي المُتمحِّضة في الدِّلالة على الكمال؛ كالعلم، والحياة، والقدرة.

والآخر: صفاتٌ مُقيَّدةٌ؛ وهي الَّتي تكون كمالًا من وجهٍ، ونقصًا من وجهٍ؛ ويَبِينُ كمالها بمجازاة أهلها بها؛ كالمكر، والمِحال، والكيد.

والثَّامنة والعشرون: صفة العِزَّة؛ قال الله تعالى: (﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ [المنافقون:٨])، وقال: (﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص:٨٢]).

والتَّاسعة والعشرون والثَّلاثون: صفة الجلال والإكرام؛ قال الله تعالى: (﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرَّحمَن]).

والجلال هو: غاية العظمة - كما سبق.

والحادية والثَّلاثون: صفة الحمد؛ قال الله تعالى: (﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [القصص:٧٠])، وقال: (﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء:١١١]) في آيٍ أُخَرَ.

والثَّانية والثَّلاثون: صفة الخَلْق؛ قال الله تعالى: (﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الفرقان:٢])، وقال: (﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الحديد:٤]).

والثَّالثة والثَّلاثون والرَّابعة والثَّلاثون: التَّبارُك والإنزال؛ قال الله تعالى: (﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١])، وقال: (﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام:٩٢])، وقال: (﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١]).

والخامسة والثَّلاثون: صفة التَّحريم؛ قال الله تعالى: (﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ﴾ [الأعراف:٣٣]) الآية.

والسَّادسة والثَّلاثون: صفة الاستواء؛ قال الله تعالى: (﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ [طه])، وقال: (﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤، يونس:٣، الرعد:٢، الفرقان:٥٩، السجدة:٤، الحديد:٤]).

والسَّابعة والثَّلاثون: صفة الرَّفع؛ قال الله تعالى: (﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥])، وقال: (﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]).

والثَّامنة والثَّلاثون: صفة المعيَّة؛ قال الله تعالى: (﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤])، وقال: (﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]) في آيٍ أُخَر ذكرها المصنِّف.

والتَّاسعة والثَّلاثون: صفة الإنباء؛ قال الله تعالى: (﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ [المجادلة:٧]).

والأربعون: صفة الصِّدق؛ قال الله تعالى: (﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النِّساء])، وقال: (﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء]).

والحادية والأربعون: صفة الحديث؛ قال الله تعالى: (﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء]).

والثَّانية والأربعون: القيل والقول؛ قال الله تعالى: (﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء])، وقال: (﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٦])، وهما لغتان في كلمةٍ واحدةٍ.

والثَّالثة والأربعون: صفة الكلام؛ قال الله تعالى: (﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥])، وقال: (﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء]).

والرَّابعــة والأربعــون: صــفة النِّــداء؛ قــال تعــالى: (﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ [مريم:٥٢])، وقال: (﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ [الأعراف:٢٢]) في آيٍ أُخَر.

والخامسـة والأربعـون والسَّادسـة والأربعـون: التَّقريـب والمناجـاة؛ قـال الله تعـالى: (﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم]).

والسَّـابعة والأربعـون: صـفة الـتَّجلِّي؛ قـال الله تعـالى: (﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة])، وقال تعالى: (﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٢٣﴾ [المطففين])، وقال: (﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس:٢٦])، وقال: (﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق]).

وجَعْلُ هَٰؤُلَاءِ الآيات اللَّواتي ذكرهنَّ المصنِّف هنا للدِّلالة على رؤية المؤمنين ربَّهم غلطٌ من وجهين:

أحدهما: أنَّ الكلام في سياق صفات الخالق، ورؤيةُ المؤمنين ربَّهم في الآخرة صفةٌ للمخلوق.

والآخر: أنَّ المصنِّف سيذكر هَٰذَا الأصل العظيم فيما يُستقبَل؛ فالمراد هنا: إثبات صفةٍ هي صفة التَّجلِّي؛ إذ فيها ذِكْر رؤية المؤمنين ربَّهم مُصَرَّحًا به الآيتين الأولين، وهي (الزِّيادة) و(المزيدُ) المذكوران في الآيتين الأخيرتين.

وتقع الرُّؤية بتجلِّيه سبحانه، ووقع التَّصريح بالصِّفة في قوله تعالى: (﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ ١٤٣﴾ [الأعراف:١٤٣])، وفي حديث جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عند مسلمٍ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ**».

وهَٰذِهِ الصِّفات الَّتي تقدَّم ذِكْرها كلُّها تُسمَّى صفاتٍ مُثبتةً.

ومن قواعد الباب المتعلِّقة بهَٰذَا المحلِّ: أن تعلَمَ أنَّ **الصِّفات الإلٰهيَّة باعتبار النَّفي والإثبات تنقسم إلى قسمين:**

أحدهما: صفاتٌ مثبتةٌ؛ وهي التي أُثبتت لله عَزَّوَجَلَّ، وتُسمَّى الصِّفات الثُّبوتية.

والآخر: صفاتٌ منفيَّةٌ؛ وهي الَّتي نُفيت عن الله عَزَّوَجَلَّ، وتُسمَّى الصِّفات السِّلبية.

ومن الصِّفات المنفيَّة الواردة في الآيات الَّتي ذكرها المصنِّف: أحد عشر صفة.

الأولى والثَّانية: النَّوم والسِّنَة - وهي النُّعاس -؛ قال الله تعالى: (﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]).

والثَّالثة: الموت؛ قال الله تعالى في نفيه: (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]).

والرَّابعة: الولد؛ قال الله تعالى: (﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص:٣])، وقال: (﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:٩١]).

والخامسة: الولادة؛ قال الله تعالى: (﴿وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص]).

والسَّادسة: الكُفُؤُ؛ وهو: المماثل؛ قال الله تعالى: (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص]).

والسَّابعة: السَّمِيُّ؛ قال الله تعالى: (﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم:٦٥])؛ وهو ٱستفهامٌ ٱستنكاريٌّ يفيد نفْي المذكور.

والثَّامنة: النِّدُّ؛ قال الله تعالى: (﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة]).

والتَّاسعة والعاشرة: الشَّريك والوليُّ؛ قال الله تعالى: (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء:١١١]).

والوليُّ المنفيُّ عن الله هو: المعين الَّذي يتصرَّف معه بما ينفعه، كما كان يعتقده المشركون.

والحادية عشرة: المِثْلُ؛ قال الله تعالى: (﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١]).

وذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جملة آيات الصِّفات المسرودة آنفًا عشر آياتٍ؛ أوَّلها قوله تعالى: (﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾ [مريم:٦٥])، وآخرها قوله تعالى: (﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ ...﴾ [الأعراف:٣٣])، وهي جميعًا في تقرير مسألة الصِّفات المنفيَّة.

والمراد من النَّفي كما تقدَّم: إثباتُ الكمالِ المقابلِ؛ لأنَّ النَّفي في نفسِه ليس كمالًا، ولَكِنَّ الكمال في إثبات مقابله.

وذكر فيها المصنِّف قولَه تعالى: (﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [التغابن:١]) وهو أصلٌ في تنزيه الله عن كلِّ ما لا يليق.

وختم تقريرَ الصِّفات المنفيَّة بقوله تعالى: (﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف])؛ **للرَّدِّ على طائفتين قالتا في الله بغير علمٍ**:

أولاهما: المُشَبِّهة الَّذين وقعوا في الشِّرك إذ شبَّهوا الربَّ بخلقه.

والثَّانية: المُعطِّلة الَّذين نفوا عن الله صفات كماله.

ولمَّا فرغ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سياق الآيات المختارة بيَّن أنَّ (هَذَا البَابَ فِي كِتَابِ الله عَزَّوَجَلَّ كثيرٌ)، فآيات الأسماء والصِّفات فيه متوافرةٌ، و(مَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِبَ الهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ)، فمَنْ نظر إلى مقاصد الآيِ المسوقةِ في هَذَا الباب ظهر له أنَّ القرآن يجمع بين النَّفي والإثبات، ووقف على مسلكه في الأسماء والصِّفات بيِّنًا، ليس دونه حجابٌ لِمَنْ كان له قلبٌ أو ألقى السَّمْع وهو شهيدٌ.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ؛ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...**». الحَدِيث. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ يَدْخُلَانِ الجَنَّةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ يَضْحَكُ: يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟!، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ** - وَفِي رِوَايَةٍ: **عَلَيْهَا قَدَمَهُ** - **فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطِ قَطِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِآدَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يَا آدَمُ؛ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ**».

وَقَوْلِهِ - فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ -: «**رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ؛ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ**

رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجعِ؛ فَيَبْرَأَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَوْلِهِ: «أَلَا تَأْمَنُونِي!، وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلِهِ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ ذَٰلِكَ، واللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إِلَى أَمْثَالِ هَٰذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَٰلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ هُمُ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ ستَّة عشر حديثًا من أحاديث الصِّفات، أوردَها بعد آياتها؛ لأنَّ السُّنَّة وحيٌ كالقرآن.

والأسماء والصِّفات مردُّها نفيًا وإثباتًا إلى الوحي وهو القرآن والسُّنَّة، وبيَّن المصنِّف الصِّلة بينهما بقوله: (ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ)[١]، فعلائق اتِّصالهما أربعٌ:

أوَّلها: تفسير السُّنَّة للقرآن.

والثَّانية: تبيين السُّنَّة للقرآن.

والفرق بينهما: أنَّ المرتبة الأولى تتعلَّق بالإيضاح التَّفصيلي، والمرتبة الثَّانية تتعلَّق بالإيضاح الكلِّيِّ.

(١) هنا تمام المجلس الأوَّل.

والمرتبة الثَّالثة: دلالة السُّنَّة على القرآن.

والمرتبة الرَّابعة: تعبير السُّنَّة عن القرآن.

والفرق بينهما: أنَّ المرتبةَ الثَّالثة تتضمَّن مجيء السُّنَّة بنظير ما في القرآن ممَّا يُشاركه في الباب، والمرتبةَ الرَّابعة تتضمَّن مجيء السُّنَّة بمثل ما جاء به القرآن.

وجميع الأحاديث الَّتي ذكرها المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ستَّة، هي في «الصَّحيحين» ٱتِّفاقًا أوِ ٱنفرادًا؛ **سوى أربعةِ أحاديثَ لم يروها البخاريُّ ولا مسلمٌ**:

أحدها: قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ...**») الحديثَ. رواه ٱبن ماجهْ من حديث أبي رَزِينٍ العَقِيليِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه ضعفٌ، والمشهور في لفظِه: «**ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ**»، ولم أجده بلفظ: (عَجِب)، وأشار إلى فقْده بهَذا اللَّفظ العلَّامة الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والغِيَر: التَّغيير من حالٍ إلى حالٍ.

ومعنى قوله في الحديث: («**أَزِلِينَ**»)؛ أي: في ضيقٍ وشِدَّةٍ، ويجوز فيه مدُّ أوَّله: (آزِلين).

والثَّاني: قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (- **فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ** -: «**رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ...**») الحديثَ. رواه أبو داود من حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإسناده ضعيفٌ.

والثَّالث: قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**وَالعَرْشُ فَوْقَ ذَٰلِكَ، واللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**»). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرمِذِيُّ في عزو المصنِّف، وهو يريد حديث العبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المعروف بـ(حديث الأوعال)، صرَّح به في «مناظرة الواسطيَّة» وفي «الحمويَّة»، وهو الحديث الَّذي ختم به إمام الدَّعوة «كتاب التَّوحيد»، وليس هو عند أبي داود والتِّرمذيِّ بهَذا اللَّفظ؛ بل بلفظٍ آخر.

واللَّفظ الَّذي ذكره المصنِّف رواه ٱبن خزيمةَ والطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» من حديث ٱبن مسعودٍ موقوفًا من كلامه، وإسناده حسنٌ، وله حُكم الرَّفع لأنَّه خبرٌ عن غيبٍ لا يُطَّلَع عليه إلَّا بالوحي.

والرَّابع: قَوْلُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**أَفْضَلُ الإِيمَانِ...**») الحديثَ. رواه الطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» و«الأوسط» من حديث عبادةَ بن الصَّامت، وإسناده ضعيفٌ.

والأحاديث الصَّحيحة تُغني عن الضِّعاف، وأوردها المصنِّف لأنَّها ثابتةٌ عنده لقوله قبل سوقها: (وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ)، ثمَّ ذكرها.

و(الصَّحيح) يندرج فيه (الحَسَن) عند جماعةٍ من الحُفَّاظ، فلا يُشكِل على هَٰذَا تحسينُه بعضَ الأحاديث، فالصِّحَّة عنده تشمل الصَّحيح والحسن.

وعزوُه إلى أهل المعرفة تلقِّي هَٰذه الأحاديث بالقبول مع ضعف بعضها ٱتِّفاقًا محمولٌ على أمرين:

أحدهما: إرادة مجموعها لا جميعها؛ فهي في الجملة مقبولةٌ دون تفاصيلها، فتكون حكايةً عن المجموع لا عن الجميع.

والآخر: إرادة قبولها في سرْدها في أخبار الصِّفات؛ لأنَّ ما ضُعِّف منها يجري مجرى التَّابع للصَّحيح الَّذي يُذْكَر ٱعتضادًا لا ٱعتمادًا، وهو صنيع جماعةٍ من أئمَّة أهل السُّنَّة المصنِّفين في هَٰذا الباب كأبي بكر بن خزيمةَ صاحب كتاب «التَّوحيد»، وٱبن منده صاحب كتاب «التَّوحيد» و«الإيمان».

بقي التَّنبيه إلى أنَّ لفظة («حَاجِبٌ») في حديثِ عديٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: («مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ...») ثابتةٌ في النُّسخة المقروءة على المصنِّف من «الواسطيَّة»، وهي موافقةٌ رواية الكُشْمِيهَنِي لـ«صحيح البخاري»، فهي عند البخاريِّ في رواية الكُشْمِيهَنِي.

واسم الإشارة (ذَٰلِكَ) في قوله: (وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَٰلِكَ) عائدٌ على قوله أوَّلًا: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ)، وأعاد التَّصريح به في الجملة الأخيرة من كلامه.

وعِدَّة الأسماء الإلٰهيَّة الواردة في الأحاديث المذكورة سبعة عشر اسمًا:

الأول: الرَّبُّ؛ لقول النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: («يَنْزِلُ رَبُّنَا»)، وقوله: («عَجِبَ رَبُّنَا») في أحاديثَ أُخَر.

وتقدَّم أنَّه صحَّ هٰذا الاسم مُعرَّفًا بـ(أل) في السُّنة الصَّحيحة.

والثَّاني: الله؛ لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: («لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا»)، وقوله: («يَضْحَكُ اللهُ») في أحاديثَ أخرى ذكرها المصنِّف.

والثَّالث: ربُّ العزَّة؛ لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: («حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ»)؛ أي: صاحب العِزَّة، وهي صفة الله.

والرَّابع: ربُّ الطَّيِّبين؛ لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: («أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ»)، ولا يُحفظ هٰذا الاسم في دليلٍ ثابتٍ.

والخامس: ربُّ السَّماوات السَّبع.

والسَّادس: ربُّ العرش العظيم.

والسَّابع: ربُّ كلِّ شيءٍ.

والثَّامن: فالق الحبِّ والنَّوى.

والتَّاسع: مُنْزِل التَّوراة.

والعاشر: مُنْزِل الإنجيل.

والحادي عشر: مُنْزِل الفرقان.

وكلُّ هٰذِهِ الأسماء في حديثٍ واحدٍ، وهو: («اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الأَرْضِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ...») إلى آخره.

وهي جميعًا من الأسماء الإلٰهيَّة المضافة.

والثَّاني عشر والثَّالث عشر والرَّابع عشر والخامس عشر: الأوَّل، والآخر، والظَّاهر، والباطن؛ وكلُّها في حديثٍ واحدٍ: («أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»).

والسَّادس عشر والسَّابع عشر: السَّميع، والقريب؛ لقوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا»).

وهٰذِهِ الأسماء الإلٰهيَّة السَّبعة عشر تتضمَّن أحد عشر صفةً إلٰهيَّةً؛ هي: الألوهيَّة، والرُّبوبيَّة، والعِزَّة، والفَلْقُ - وهو الشَّقُّ -، والإنزال، والأوَّليَّة، والآخِريَّة، والظُّهُور، والبُطون، والسَّمع، والقُرب.

ووجه ٱستفادتها هو من الأسماء الإلٰهيَّة المتقدِّمة وفْق قاعدة ٱستخراج الصِّفات من الأسماء الحسنى، وقد تقدَّمت.

ومن الصِّفات الإلٰهيَّة الواردة في الأحاديث الَّتي ساقها المصنِّف زيادةً على ما تقدَّم ممَّا أورد فيه دليلًا خاصًّا خمسة عشر صفةً:

الأولى: النُّزول؛ قال النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («يَنْزِلُ رَبُّنَا»).

والثَّانية: الفرح؛ قال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا»).

والثَّالثة: الضَّحك؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ**»).

والرَّابعة والخامسة والسَّادسة والسَّابعة: العَجَب، والنَّظَر، والضَّحك، والعِلم؛ وكلُّها في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ يَضْحَكُ: يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**»).

وتقدَّم بيان ضعفه، وما فيه من الصِّفات ثابتٌ بِأدلَّةٍ تقدَّمت سوى (العَجَب)، ويدلُّ عليها قولُه تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصَّافات:١٢]، على قراءة الضَّمِّ وصفًا له سبحانه، وهي قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ وخلفٍ العاشرِ، وقولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا اللَّيْلَةَ**». متَّفقٌ عليه. ففيهما إثبات صفة العجب لله عَزَّ وَجَلَّ.

والثَّامنة: القَدَمُ؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ**»)، وَفِي رِوَايَةٍ: «**عَلَيْهَا قَدَمَهُ**».

والتَّاسعة والعاشرة والحادية عشرة: القول، والنِّداء، والصَّوت؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِآدَمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **يَا آدَمُ؛ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ...**») الحديث.

والثَّانية عشرة: الكلام؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ**»).

والثَّالثة عشرة: العلوُّ؛ في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (- فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ -: «**رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»)، وقولِه: («**وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»)، إلى غير ذَٰلِكَ من الأحاديث الَّتي ذكرها المصنِّف.

والرَّابعة عشرة: المعيَّة؛ في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ**»)، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ...**») الحديث.

الخامسة عشرة: صفة التَّجلِّي؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ»).

ورؤية الخلق لله تكون بتجلِّيه لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهَٰذِهِ كلُّها صفاتٌ مُثبتةٌ ممَّا ذُكِر في الأحاديث.

أمَّا الصِّفات المنفيَّة المذكورة في تلك الأحاديث فهي صفتان؛ هما: نفي الصَّمم، ونفي الغياب؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا»).

ولمَّا فرغ المصنِّف من ذِكْر تلك الأحاديث الجامعة لجملةٍ من الأسماء والصِّفات الإلٰهيَّة ذكر أنَّ غيرها مثلَها فيجري القولُ فيه وَفْق ما جرى فيها من الإيمان بتلك الأسماء والصِّفات (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ).

وتلك الطَّريقة الَّتي جرى عليها أهل السُّنَّة والجماعة أنزلتهم في باب الأسماء والصِّفات منزلَ الوسط بين (فِرَقِ الأُمَّةِ)، فهم فيها وسطٌ بين تلك الفِرَق (كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ).

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الـمُشَبِّهَةِ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَى: بَيْنَ القَدَرِيَّةِ وَالجَبْرِيَّةِ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ: بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَبَيْنَ الوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ: بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالـمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الـمُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَبَيْنَ الخَوَارِجِ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

لَمَّا قرَّر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ أهل السُّنَّة والجماعة وسطٌ بين فِرَق الأمَّة؛ **شرعَ يبيِّن تحقيق وسطيَّتهم بِذِكْر خمسة أصولٍ جامعةٍ:**

أوَّلها: أسماءُ الله وصفاتُه؛ فهم فيها وسطٌ بين (أَهْلِ التَّعْطِيلِ) المنكرين لها، و(أَهْلِ التَّمْثِيلِ) المبالغين في إثباتها بذِكْر مماثلها.

وثانيها: القَدَرُ، المشار إليه بقول المصنِّف: (بَابُ أَفْعَالِ اللهِ)؛ فهم وسطٌ فيه (بَيْنَ القَدَرِيَّةِ) الزَّاعمين أنَّ العبد يخلق فِعْله ٱستقلالًا، (وَالجَبْرِيَّةِ) الزَّاعمين أنَّ العبدَ مجبورٌ على فِعْله، لا إرادةَ له ولا ٱختيار.

وثالثها: الوعيد بالعذاب والعقاب؛ فهم وسطٌ فيه (بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ) الزَّاعمين أنَّ فاعل الكبيرة لا يدخل النَّار ولا يستحق ذَٰلِكَ، و(الوَعِيدِيَّةِ) الَّذين يُنفذون الوعيد؛ أي: يُمْضُونه فلا يتخلَّف بحالٍ، ويقولون: فاعل الكبيرة مُخَلَّدٌ في النَّار.

رابعها: أسماء الإيمان والدِّين؛ فهم وسطٌ فيه (بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ) - وهم الخوارج - (وَالـمُعْتَزِلَةِ) الَّذين يُخرجون صاحب الكبيرة من الإيمان بالكلِّيَّة، ثمَّ يختلفون في كيفيَّة إخراجه، فتجعله الخوارج كافرًا، وتجعله المعتزلة في منزلةٍ بين الإيمان والكُفر، وتجتمع الطَّائفتان في أنَّه في الآخرة كافرٌ مُخَلَّدٌ في النَّار.

(وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ) الَّذين يجعلون فاعل الكبيرة مؤمنًا كامل الإيمان.

وخامسها: (أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ فهم وسطٌ فيه (بَيْنَ الرَّوَافِضِ) الَّذين بالغوا في حُبِّ بعض أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آله وغَلَوْا فيهم، (وَبَيْنَ الخَوَارِجِ) النَّاصبيَّة الَّذين بالغوا في بُغْض بعض الصَّحابة وسَبِّهم؛ بل كفَّروا كثيرًا منهم.

والمراد بالوسطيَّة المقرَّرة في هٰذِهِ الأصول الخمسة أنَّ أهل السُّنَّة فيها عدولٌ خيارٌ، مستقيمين على الصِّراط المستقيم بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ، **فالوسطيَّة تجمع أمرين**:

أحدهما: الاستقامة على الصِّراط المستقيم، وهو الإسلام.

والآخر: مُجانبة الإفراط والتَّفريط والبراءة منهما؛ فلا غُلوَّ ولا جفاء.

هٰذِهِ هي وسطيَّةُ الواسطيَّة المُشَيَّدة بالأدلَّة الشَّرعيَّة، وليست الوسطيَّةُ إماتةَ الدِّين والتَّهوينَ في شرائعه بمحاباة أهل الكفر والبدعة والفسوق، وهي الَّتي يرفعها أقوامٌ اليوم شعارًا، فالوسطيَّة عندهم ملاينة الخلق فيما يُترَك من الحقِّ، وهٰذا باطلٌ.

فصار للوسطيَّة معنيان:

أحدهما: الاستقامة على الصِّراط المستقيم بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ، وهٰذا معنًى حقٌّ.

والآخر: ملاينة الخلق في ترْك الحقِّ؛ وهٰذا معنًى باطلٌ.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَٰلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد:٤] أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَٰذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ؛ بَلِ القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَٰلِكَ مِن مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَٰذَا الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ - مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَٰكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ.

وَدَخَلَ فِي ذَٰلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**».

وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

(مِنَ الإِيمَانِ باللهِ): الإيمان بعُلوِّه ومعيَّتِهِ؛ فهو سبحانه فوق عرشِه، وهو مع خلقه أينما كانوا، وهما من جملة الصِّفات الإلهيَّة، لَـكِنَّ المصنِّف أفردهما عن نظائرهما لِمَا ٱحتفَّ بهما من معارضات الابتداع العاطلة، ومناقضات الأهواء الباطلة، من الجهميَّة ومَنْ تَبِعهم من نُفاة العُلوِّ، ومن أهل الحلول والاتِّحاد الزَّاعمين أنَّ الله ممتزجٌ بخلقه غيرُ بائنٍ منهم – تعالى الله عما يقولون عُلوًّا كبيرًا.

ولا يُراد بالمعيَّة أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ (مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ)؛ فـ(هَـٰذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ) الَّتي خُوطبنا بها في القرآن والسُّنَّة، كما أنَّه (خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهُ سَلَفُ الأُمَّةِ)، و(فَطَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ الخَلْقَ) كافَّةً.

وكونُ الله (فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَـكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ) كما ذكر المصنِّف.

ووقع تبيين شيءٍ من تلك الظُّنون الكاذبة في بعض نُسَخ الكتاب المتأخِّرة؛ مثل أن يُظَنَّ أنَّ ظاهر قوله: (في السَّماء) أنَّ السَّماء تُقِلُّه أو تُظلُّه؛ وهَـٰذَا باطلٌ بإجماع أهل العلم والإيمان.

وهَـٰذه الزِّيادة المفسِّرة للظُّنون الكاذبة ليست في النُّسخ العتيقة لـ«العقيدة الواسطيَّة»، ومنها نُسخةٌ مقروءةٌ على المصنِّف، وهي تُشبه كلامَه، وكأنَّ أحدًا نقلها من كتابٍ له إلى هَـٰذَا المحلِّ فشُهِرَت في بعض النُّسخ المتأخِّرة، وتلك الجملة لا توجد في كتبه الَّتي طُبعت حتَّى الآن.

(وَدَخَلَ فِي ذَٰلِكَ) – كما قال المصنِّف – إثبات أنَّه سبحانه (قَرِيبٌ مِنْ خَلقِهِ)، و(قُرْبُهُ وَمَعِيَّتُهُ) لا ينافي (عُلُوَّهُ وَفَوْقِيَّتَهُ)؛ بلِ الأمر كما قال المصنِّف: (عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ).

والقرب المذكور في باب الصِّفات مختصٌّ بالمؤمنين في أصحِّ قولي أهل العلم.

فلا يُقالُ حينئذٍ: إنَّ القُربَ نوعانِ:

أحدهما: قُرْبٌ عامٌّ مِنَ الخلْقِ كلِّهم بالعلْمِ.

والآخر: قُرْبٌ خاصٌّ مِنَ المؤمنينَ بالنَّصرِ والتَّأييدِ.

بلِ القربُ للمؤمنين فقط؛ وهَٰذَا هو مقتضى ٱستخلاصهم وٱصطفائهم دون الخلْق، فيكون لهم حظٌّ من ربِّهم ليس لغيرهم.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَمِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَٰذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ.

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَٰلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

قال الشَّارح وفّقه الله:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ أنَّ (مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ)؛ أي: تَكَلَّم به حقيقةً، (وَإِلَيْهِ يَعُودُ) أي: يُرفَع من الصُّدور والسُّطور، فلا يبقى شيءٌ منه في صدور الرِّجال ولا في المصاحف في آخر الزَّمان، ثبتت بذَٰلِكَ الأحاديث وٱنعقد عليه الإجماع.

و(هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ)، ولا يُقال (أَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ)، ولا (عِبَارَةٌ عَنْهُ)؛ بل هو كلام الله؛ حروفُه ومعانيه.

و(الحكاية) و(العبارة) مذهبان رديئان للكُلَّابية والأشاعرة؛ فإنَّ الطَّائفتين ٱتَّفقتا على أنَّ كلام الله معنًى قائمٌ بذاته، ثمَّ ٱفترقتا؛ فزعمت الكُلَّابية: أنَّ القرآن وغيرَه من الكتب المُنَزَّلة حكايةٌ عن كلام الله، وٱمتنعت الأشاعرة عن الحكاية لما فيها من المماثلة، وٱختاروا القول بأنَّ القرآن وغيره من الكتب المنزلَّة هو عبارةٌ عن كلام الله، والمُعبِّر عنه

هو جبريلُ أو محمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليه.

وعلى المذهبين؛ فالكتب المُنَزَّلة – ومنها القرآن – معناها من الله دون الحروف، وهَٰذَا خلاف دلائل الوحيين؛ فالقرآن كلُّه حروفُه ومعانيه من الله.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ؛ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الشَّارح وفّقه الله:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ (مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ: الإِيمَانَ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ) يرون ربَّهم (يَوْمَ القِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ) بلا خفاءٍ، وقد ثبت هَٰذَا اللَّفظ (عِيَانًا) مرفوعًا في «صحيح البخاريِّ».

(يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ)؛ أي: مُتَّسعاتها، (ثُمَّ يَرَوْنَهُ) سبحانه في (الجَنَّةِ).

والفرق بين الرُّؤيتين من وجهين:

أحدهما: أنَّ الرُّؤية الَّتي تكون في عرصات يوم القيامة هي رؤيةُ ٱمتحانٍ وتعريفٍ، والرُّؤية الَّتي تكون في الجنَّة هي رؤيةُ إنعامٍ وتشريفٍ.

والآخر: أنَّ الرُّؤية الأولى مُشتركةٌ بين المؤمنين وغيرهم على الصَّحيح من أقوال أهل السُّنة؛ لأنَّها للامتحان والتَّعريف.

وتختصُّ الثَّانية بالمؤمنين؛ لانفرادهم في الآخرة باستحقاق الإنعام والتَّشريف، سائلين

الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يُنعِم علينا وعليكم برؤيته في الجنَّة.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟، وَمَا دِينُكَ؟، وَمَنْ نَبِيُّكَ؟، فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي.

وَأَمَّا المُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: «آهْ آهْ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ الكُبْرَى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ؛ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ العَالَمِينَ، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ العَرَقُ.

وَتُنْصَبُ المَوَازِينُ، فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ العِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الكُفَّارُ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

وَفِي عَرْصَةِ القِيَامَةِ الحَوْضُ المَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمْحِ البَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالفَرَسِ الجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ، وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ: أُمَّتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَهُ فِي القِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ لِأَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ السَّلَامُ = الشَّفَاعَةَ حَتَّى

تَنْتَهِي إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ.

وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ ٱسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَٰذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ ٱسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الحِسَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالعِقَابِ، وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلِ ذَٰلِكَ = مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالأَثَارَةِ مِنَ العِلْمِ المَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي العِلْمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْ ذَٰلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ٱبْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

❁ ❁ ❁

قال الشَّارح وفّقه الله:

شرع المصنِّف رَحِمَهُٱللَّهُ يُبيِّن الرُّكنَ الخامسَ من أركان الإيمان، وهو: (الإِيمَانُ بِاليَوْمِ الآخِرِ).

واليوم الآخر على ما ذكره هو: (كُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ)، فهو ٱسمٌ لما يكون بعد الموت، وهَٰذَا من أحسن ما قيل في حَدِّه، ووصفه ٱبن سِعديٍّ في «التَّنبيهات اللَّطيفة» بأنَّه ضابطٌ جامعٌ.

وخبرُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المذكور في كلام المصنِّف يندرج فيه القرآن؛ لأنَّ مُخبِرَنا به هو محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيؤمن أهل السُّنَّة والجماعة بفتنة القبر، وهي سؤال الملكين العبدَ عن ربِّه ودينه ونبيِّه، (فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ).

(وَأَمَّا المُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: «آهْ آهْ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»)، والمشهور في لفظ الحديث: «هاه، هاه»، ووقع في بعض رواياته: «آهْ آهْ» بدون هاء في أوله، وهو المثبت في النُّسخة المقروءة من «الواسطيَّة» على المصنِّف.

ويؤمنون بنعيم القبر وعذابه؛ وهو ما يجري على العبد من نعيمٍ أو عذابٍ في قبره.

ويؤمنون بيوم القيامة إذا أُعيدت (الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ)، وقام النَّاس (لِرَبِّ العَالَمِينَ، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا)؛ أي: غير مختونين، وحينئذٍ يُنصَب الميزان، وهو واحدٌ في أصحِّ الأقوال، ولكِنَّه جُمع باعتبار ما يوزَن فيه، فلما تعدَّد الموزون جُمع الميزان تعظيمًا له فقيل: (المَوَازِينُ)، فتوزَن الأعمال وصحائفها وعُمَّالها، فالوزن في أصحِّ أقوال أهل العلم واقعٌ على ثلاثةٍ: العبد العاملُ، وعملُه، وصحيفةُ عملِه.

وإلى ذَٰلِكَ أشرتُ بقولي:

الوزنُ في أصحِّ قولٍ للعملْ وعاملٍ مَعْ صُحْفِهِ نِلْتَ الأَمَلْ

(وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ)، فيأخذ المؤمن (كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ)، ويأخذ الكافر كتابه (بِشِمَالِهِ) (وَرَاءَ ظَهْرِهِ).

(وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلَائِقَ)، **والحساب** في الشَّرع: عَدُّ أعمال العبد يوم القيامة، **وله درجتان**:

إحداهما: الحساب اليسيرُ؛ وفيه تُعرَض أعمال العبد عليه ويُقَرَّر بها.

والأخرى: الحساب العسير؛ وفيه يُناقَش العبد وتُستقصى عليه أعماله.

و(الكُفَّارُ لَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ)؛ إذ لا حسنةَ لهم؛ فقد جُوزوا بحسناتهم في الدُّنيا، فيقدُمُون الآخرة ولا حسنةَ لهم، ولكِنَّهم يُحاسَبون بالتَّقرير على أعمالهم، والتَّقريع والتَّبكيت عليها، والمجازاة بها.

(وَفِي) عَرَصَاتِ(القِيَامَةِ) - وهي مُتَّسعاتُها - (الحَوْضُ المَوْرُودُ) لرسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكلِّ نبيٍّ حوضٌ، ولَكِنَّ حوض نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعظمها وصْفًا، وأكملها حالًا.

ويؤمن أهل السُّنَّة بـ(الصِّراط)، وهو جسرٌ (مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ)؛ أي: ظهرِها، يوصل إلى الجنَّة، وهَذَا معنى قول المصنِّف: (وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ)؛ أي: بينهما في الإيصال، وليس في الاتِّصال، فليست صورته أن يكون ممدودًا والنَّار هاهنا والجنَّة هاهنا؛ بل صورته أنه يكون منصوبًا فوق نار جهنَّم، فالنَّار تحتَه، ويمرُّ عليه مَنْ يمرُّ عليه فوقَه، فيدفع به إذا أفاض منه إلى الجنَّة - جعلنا الله وإيَّاكم من أهلها -، يمرُّ عليه المؤمنون فقط على الصَّحيح من أقوال أهل السُّنَّة، فالأحاديث ظاهرةٌ في أنَّ المرور على الصِّراط مختصٌّ بالمؤمنين، وأصرحُها: حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا لمَّا ذكَر الصِّراط قال: «**فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ**». متَّفقٌ عليه واللَّفظ لمسلمٍ؛ فلا يمرُّ على الصِّراط إلَّا أهل الإيمان.

والَّذين تخطَفُهم كلاليب جهنَّمَ هم من عُصاة المؤمنين الَّذين يستحقُّون دخول النَّار، فيدخلونها ثمَّ يُخرَجون منها، يمر عليه المؤمنون (عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمْحِ البَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالفَرَسِ الجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ)؛ أي الإبلِ الرَّواحل الَّتي تُتَّخذ للرُّكوب.

فمَنْ مرَّ على الصِّراط دخل الجنَّة ولم يسبق دخولَه عذابٌ في النَّار؛ بخلافِ مَنْ أخذَتْه

الكلاليبُ من عصاة المؤمنين، فإنَّه يدخل النَّار ثمَّ يُخرَج منها.

والكلاليب: جمع كُلَّاب وكَلُّوب؛ وهو: حديدةٌ مُعْوَجَّة الرَّاس ذاتُ شُعَبٍ؛ أي: حديدةٌ يكون رأسُها منقسمًا إلى شعبتين أو ثلاثٍ، وهو الَّذي يُسمَّى في لغة العامَّة بالمِعلاق أو بالشِّنْكَارِ.

ثمَّ يُوقَف الَّذين عبروا الصِّراط (عَلَى قَنطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ)(١).

(وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ) هو (مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهو أوَّلُ شافِعٍ، وأوَّل مُشَفَّعٍ.

والشَّفاعة الَّتي يذكرها المتكلِّمون في أبواب الاعتقاد يريدون بها الشَّفاعة عند الله، وتعريفها شرعًا: سؤال الشَّافعِ اللهَ حصول نفْعٍ للمشفوع لهُ، والنَّفع يتضمَّن جلْبَ خيرٍ له، أو دفْعَ ضُرٍّ عنه.

وللنَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِي القِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ):

(الشَّفَاعَةُ الأُولَى): شفاعتُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في (أَهْلِ المَوْقِفِ) أن (يُقْضَى بَيْنَهُمْ)، وهي الشَّفاعة العظمى.

و(الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ): شفاعتُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الجنَّة أن يدخلُوها.

(وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ) به.

و(الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ): شفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فِيمَنِ ٱسْتَحَقَّ النَّارَ)؛ وهَٰذِهِ الشَّفاعة لا تختصُّ به؛ بل هي (لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ) والشُّهداء والصَّالحين (وَغَيْرِهِمْ) من الشُّفعاء، وهي تتناول - كما ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ - (مَنِ ٱسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا)،

---

(١) هنا تمام المجلس الثَّاني.

و(مَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا)، **فيندرج فيها طائفتان:**

الأولى: المستحقُّون دخولَ النَّار ألَّا يدخلُوهَا.

والثَّانية: الدَّاخلون في النَّار أن يخرجُوا منها.

والصَّحيح: أنَّ هَٰذِهِ الشَّفاعة تختصُّ بمَنْ دخل النَّار أن يخرج منها، وأمَّا الشَّفاعة فيمَنِ ٱسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا؛ فالتَّحقيق: عدمُ ثبوتها؛ لخُلوِّ القول بها عن دليلٍ صحيحٍ صريحٍ، ٱختاره أبو عبد الله ٱبن القيِّم في «حاشيته على تهذيب السُّنن» خلافًا لشيخه، والأشبه أنَّ قولَه أقوى.

فتصير الشَّفاعة الثَّالثة: شفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيمن دخل النَّار أن يخرج منها، والله أعلم.

(وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ) أحدٍ؛ (بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ) - أي: زيادةٌ - (عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ) للجنَّة (أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ).

وأحوال الدَّار الآخرة متعدِّدةٌ متنوِّعةٌ، والمذكور في كلام المصنِّف مهمَّاتها، وتفاصيلها موجودةٌ في الكتاب والسُّنَّة فمَنْ أراد أن يتحقَّق أحوال الدَّار الآخرة فليُقبِل على الآيات القرآنيَّة والأحاديث النَّبويَّة المتعلِّقة بها.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ مَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ القَدِيمِ، الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ؛ قَالَ لَهُ: ٱكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟، قَالَ: ٱكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾ [الحج]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٢٢﴾ [الحديد].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ.

فَهَذَا القَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ؛ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ؛ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَٰلِكَ فَقَدْ أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الفَسَادَ.

وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ.

وَالعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ، وَالفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ.

وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير].

وَهَٰذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ السَّلَفُ مَجُوسَ هَٰذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

قال الشَّارح وفّقه الله:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هَٰذِهِ الجملة الرُّكن السَّادس من أركان الإيمان؛ وهو الإيمانُ (بِالقَدَرِ)، فبيَّن أنَّه يأتي (عَلَى دَرَجَتَيْنِ):

الأولى: الدَّرجة السَّابقة وقوع المُقَدَّر؛ وتتضمَّن عِلْمَ الله بالمقادير، وكتابتَهُ لها.

والثَّانية: الدَّرجة المصاحِبَة وقوع المُقَدَّر؛ وتتضمَّن مشيئةَ الله للمقادير، وخَلْقَه لها.

ومراتب القدر أربعٌ؛ هي: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلْق، وهي منتظمةٌ في تلك الدَّرجتين اللَّتين ذُكِرتا.

وحقيقة القدر شرعًا: عِلْم الله بالوقائع وكتابتُها، ومشيئتُه وخَلْقه لها، وهَٰذَا الحَدُّ جامعٌ لمراتب القدر الأربع بدرجتيه السَّابقتين.

وممَّا يندرج في هَٰذَا البابِ: الإيمان بأنَّ الله جعل للعبد مشيئةً وقُدرةً، لكِنَّها تابعةٌ لمشيئة الله وقُدرته، غير مستقلَّةٍ عنها.

والدَّرجة الأولى من درجتي القدر (قَدْ كَانَ) يُنْكِرُها (غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا)، وَمُنْكِرُها (اليَوْمَ قَلِيلٌ).

أمَّا الدَّرجة الثَّانية فينكرها (عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ) الَّذين يزعمون أنَّ العبد يخلق فِعْلَه، فيقدِّرُه ويشاؤُه ولا يعلمُه الله إلَّا بعد وقوعه!، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

(وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنَ) المثبِتة للقدر، وهم الجبريَّة؛ (حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ) ومشيئتَه، وجعلوه مجبورًا على أفعاله، لا ٱختيار له ولا إرادة فيها، وعطَّلوا (أَفْعَالَ اللهِ وَأَحْكَامَهُ) عن (حِكَمِهَا وَمَصَالِحِهَا)؛ إذ يصير ما خوطِب به العبد لا حِكمة فيه ولا مصلحة؛ لأنَّ العبد غير مُختارٍ فيما يفعل من الأمر والنَّهي.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَمِنْ أُصُولِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ، وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَٰلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:٩-١٠].

وَلَا يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ ٱسْمَ الإِيمَانِ بِالكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ المُعْتَزِلَةُ؛ بَلِ الفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي ٱسْمِ الإِيمَانِ؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي ٱسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَى الاسْمَ المُطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

لمَّا فرغ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بيان أركان الإيمان؛ شرع يبين حقيقته عند أهل السُّنَّة.

والإيمان له في الشَّرع معنيان:

أحدهما: عامٌّ؛ وهو: الدِّين الَّذي بعث الله به محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحقيقته شرعًا: التَّصديق الجازم بالله باطنًا وظاهرًا، تعبُّدًا له بالشَّرع المُنَزَّل على محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مقام المشاهدة أو المراقبة.

وينتظم في هَٰذِهِ الحقيقة قول السَّلف: (الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ).

والآخر: خاصٌّ؛ وهو: الاعتقادات الباطنة، وهَٰذا المعنى هو المراد إذا قُرِن الإيمان بالإسلام والإحسان.

والإيمان بمعناه العامِّ منقسمٌ على القلب واللِّسان والجوارح؛ وإلى ذَٰلِكَ يشير أهل السُّنة بقولهم: (الإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ)؛ فالقول: (قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ)، والعمل: (عَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ).

فموارد الإيمان باعتبار محلِّه خمسةٌ:

أوَّلها: قوْل القلب؛ وهو اعتقاده بالإقرار والتَّصديق والمعرفة.

وثانيها: عمل القلب؛ وهو حركاتُه فيما يريده الله من محبوباته ومراضيه؛ كالخوف، والتَّوكُّل.

وثالثها: قول اللِّسان؛ وهو نطقه بالشَّهادتين.

ورابعها: عمل اللِّسان؛ وهو ما لا يُؤدَّى من العمل إلَّا به؛ كقراءة القرآن وسائر الأذكار.

وخامسها: عمل الجوارح؛ وهو الفِعْل والتَّرْك الواقع بها.

والإيمان يزيد وينقص؛ وزيادته تكون (بِالطَّاعَةِ)، ونقصانه يكون (بِالمَعْصِيَةِ).

ومَنْ فعل كبيرةً فهو فاسقٌ، ليس بمؤمنٍ كامل الإيمان ولا بكافرٍ؛ بل هو (مُؤْمِنٌ نَاقِصُ

الإِيـمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ)، (فَلَا يُعْطَى الاسْمَ المُطْلَقَ) فيقال: مؤمنٌ، (وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ) فيقال: كافرٌ؛ بل يكون مؤمنًا بما عنده من الإيمان، فاسقًا بما أصاب من كبيرةٍ.

و(الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ) معه ثابتة، لا تزول (مَعَ المَعَاصِي) ولا تنتفي، لا (كَمَا) تزعمه (الخَوَارِجُ) الَّذين يُكفِّرون بفعل الكبيرة، ويحكمُون على صاحبها بالخلود في النَّار، ولا (كَمَا) تزعمه (المُعْتَزِلَةُ) الَّذين يخرجون فاعل الكبيرة من الإيمانِ، لكِنَّهم لا يدخِلُونَه الكفر، فيجعلونه في الدُّنيا في مقامٍ اخترعوه، سمَّوه: المنزلةَ بين المنزلتين، ويجعلونه في الآخرة كافرًا مُخلَّدًا في النَّار.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَالعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَٰذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ ٱخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - بَعْدَ ٱتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا؛ لَـٰكِنِ ٱسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَـٰذِهِ المَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -؛ لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

لَـٰكِنَّ المَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الخِلَافَةِ.

وَكَذَٰلِكَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ (غَدِيرِ خُمٍّ): «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

وَقد قَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ - وَقَدِ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ - فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ للهِ وَلِقَرَابَتِي**».

وَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ ٱصْطَفَى إِسْمَاعِيلَ، وَٱصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَٱصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَٱصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَٱصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ؛ خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**».

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَٰذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِئِهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ؛ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَٰلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ - إِنْ صَدَرَ -، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ، وَأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ٱبْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَٰذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ؛ إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ؟!

ثُمَّ القَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ: قَلِيلٌ نَزْرٌ، مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ

النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِم مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَٰذِهِ الأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ تَعَالَى.

قال الشَّارح وفّقه الله:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلَامَةَ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ممتثلين ما أمرهم الله به، فيقبلون ما في الكتاب والسُّنَّة (مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ).

و(يُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ).

(وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ).

(وَيُؤْمِنُونَ) بفضيلة (أَهْلِ بَدْرٍ)، وأنَّ الله قال لهم: («**ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»). متَّفقٌ عليه من حديث عليٍّ.

و(أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ)، وهم أهل بيعة الرِّضوان عام الحديبية.

(وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَالعَشَرَةِ) المُبَشَّرين بها، وهم: الخلفاء الأربعةُ، وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، والزُّبير بنُ العوَّام، وطلحة بن عُبيدِ الله، وأبو عبيدةَ عامرُ بنُ الجرَّاح، وعبد الرَّحمَٰنِ بن عوفٍ، وسعيدُ بنُ زيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وخُصَّ هَٰؤُلَاءِ باسم العشرة المبشَّرين بالجنَّة وإن كان غيرهم من الصَّحابة بُشِّر بها

أيضًا؛ لأنَّهم جُمعوا في حديثٍ واحدٍ في البِشارة بالجنَّة، فسُمُّوا العشرةَ المُبَشَّرين بالجنَّة.

ويعتقد أهل السُّنَّة أنَّ ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل؛ كترتيبهم في الخلافة؛ فأفضلهم: أبو بكرٍ، ثمَّ عمرُ، ثم عثمانُ، ثم عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وفي المفاضلة بين عثمانَ وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خلافٌ قديمٌ، ثمَّ (ٱسْتَقَرَّ) الأمرُ عندَ (أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ) على (عَلِيٍّ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الفضل.

(وَإِنْ كَانَتْ هَٰذِهِ المَسْأَلَةُ) - وهي مسألةُ المفاضلةِ بين عثمانَ وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - (لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا المُخَالِفُ)، ولَٰكِنِ الَّذي (يُضَلَّلُ) فيه المخالف هو ترتيبهم في (الخِلَافَةِ).

والفرق بين المسألتين: ٱنعقاد إجماع الصَّحابة على ترتيب الخلافة، وأمَّا مسألة المفاضلة فبقيت فيهم وفي مَنْ بعدهم من التَّابعين، ثمَّ ٱستقرَّ قول أهل السُّنَّة على تقديم عثمانَ على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفضلِ.

فيؤمنون بما يتعلَّق في الخلافة (أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ).

(وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).

(وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ)، **وأهلُ بيتِه** - في أصحِّ الأقوال - هم: الَّذين حُرِّمت عليهمُ الصَّدقة، وهم بنو هاشمٍ وزوجاتُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولأجل ما كان للأزواج من مقامٍ كريمٍ عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفردهمُ المصنِّف بالذِّكر فقال: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ...) إلى آخره.

(وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ) و(النَّوَاصِبِ)، فإنَّ الرَّوافض (يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ

وَيَسُبُّونَهُمْ)، ويُعظِّمون بعض آل بيت النَّبيِّ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وطريقة النَّواصب أذيَّة أهل بيت رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما أنَّهم يسبُّون غيرهم من الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؛ بل يُكفِّرون كثيرًا منهم.

وما (شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ) من الاختلاف وما جرى في زمانهم من فتنةٍ؛ فإنَّه يُمسَك عنه عند أهل السُّنة والجماعة، ولا يُسعَى في بثِّه وإشاعته، بل السَّاعي في ذَٰلِكَ القائمُ به ساعٍ في طريق ضلالةٍ، وهو زائغٌ عند أهل السُّنَّة والجماعة.

(وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَٰذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي) مساوئ الصَّحابة **ثلاثةُ أقسامٍ**:

القسم الأول: (مَا هُوَ كَذِبٌ) في نفسه؛ فلا يثبتُ البتَّة.

والقسم الثاني: (مَا زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ)، وغُيِّر عن وجهه.

وهَٰذَان النَّوعان هما أكثر المنقول في كتب التَّاريخ والأخبار، فإنَّ الغالب فيها ذِكْر الكذب أو المحوَّل عن وجهه، فانحطَّت رتبتُها في نقل الوقائع، ومنها خلافُ الصَّحابة وما شجر بينهم عن رتبة كتب السُّنن والآثار.

فالمعوَّل عليه في نقْل ما وقع بينهم إنِ ٱحتيج إليه هو كُتب السُّنن والآثار، لا كُتُب التَّواريخ والأخبار.

والقسم الثَّالث: صحيحٌ عنهم، وأكثره يُروى في كتب السُّنن والآثار، لا التَّواريخ والأخبار، و(هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ؛ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ)، فهم بين الأجرين والأجر.

ولا يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أبدًا أنَّ أحدًا (مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ) من الذُّنوب، (بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمْ) الوقوع فيها، وتوجد الذُّنوب منهم، لَٰكِن لهم من مُوجِبَات المغفرة ما ليس لغيرهم.

وإذا (صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ) ماحيةٍ، (أَوْ غُفِرَ لَهُ)؛ بِمَا له من (فَضْلِ سَابِقَتِهِ) في الإسلام، (أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ٱبْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ).

وَ(إِذَا كَانَ هَـٰذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ) المجزوم صدُورها عنهم؛ (فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ).

(ثُمَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ) هو (قَلِيلٌ نَزْرٌ، مَغْمُورٌ فِي) جانب فضائلهم (وَمَحَاسِنِهِمْ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

(وَمَنْ نَظَرَ فِي) أخبار الصَّحابة وسِيَرهم (عَلِمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ) النَّاس (بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ)، وأنَّه لم يأتِ بعد الأنبياء والمرسلين أحدٌ أفضلُ من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِم مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ؛ كَالمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَٰذِهِ الأُمَّةِ؛ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

(مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ) والجماعة: (التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ).

والكرامات: جمع كرامةٍ؛ وهي: آيةٌ عظيمةٌ تدلُّ على صلاح العبد، ولا تقترن بدعوى النُّبوَّة.

والأولياء: جمع وليٍّ؛ وهو شرعًا: كلُّ مؤمنٍ تقيٍّ.

أمَّا **الوليُّ في اصطلاح علماء العقيدة** فهو: كلُّ مؤمنٍ تقيٍّ غيرِ نبيٍّ.

فاسم (الوليِّ) في خطاب الشَّرع يندرج فيه الأنبياء، وأمَّا في الاصطلاح فلا يندرجون فيه.

واحتيج إلى هَٰذِهِ المواضعة الاصطلاحيَّة للتَّفريق بين دلائل النُّبوَّة وكرامات الأولياء.

وكرامات الأولياء نوعان - أشار إليهما المصنِّف:

أحدهما: كرامةٌ تتعلَّق بـ(أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ).

والآخر: كرامةٌ تتعلَّق بـ(أَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ).

وأهل السُّنَّة يثبتون للأولياء الكراماتِ، ويُنزِّهونهم عمَّا يُدَّعى زورًا من الخرافات.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: ٱتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَٱتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَٱتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ: كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَٰذَا سُمُّوا (أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

وَسُمُّوا (أَهْلَ الجَمَاعَةِ)؛ لِأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الِاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ ٱسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ.

وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَٰذِهِ الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ؛ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ؛ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الِاخْتِلَافُ، وَٱنْتَشَرَتِ الأُمَّةُ.

قال الشَّارح وفّقه الله:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هٰذِهِ الجملة طريقَ أهل السُّنَّة الكلِّيَّ في أخذ دينهم، وأنَّ من

طـريقتهم: (ٱتِّبَـاعُ آثَـارِ رَسُـولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، (وَٱتِّبَـاعُ سَـبِيلِ السَّـابِقِينَ) (مِـنَ الْمُهَـاجِرِينَ وَالأَنْصَـارِ)، والتَّمسُّـك بالسُّـنَّة النَّبويَّـة، وسُـنَّة الخلفـاء الرَّاشـدين المهـديِّين، ومجانبةُ محدثات الأمورِ؛ لأنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

وأنَّهـم (يَعْلَمُـونَ أَنَّ أَصْـدَقَ الكَـلَامِ: كَـلَامُ اللهِ، وَخَـيْرَ الهَـدْيِ: هَـدْيُ مُحَمَّـدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، ولأجل هٰذا آثروا (كَلَامَ اللهِ عَلَى) كلام غيره، وقدَّموا (هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى هَدْيِ) غيرِه، فـ(سُمُّوا (أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ))؛ لأخذهم بهٰذين الأصلين، (وَسُمُّوا (أَهْلَ الجَمَاعَةِ)؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ).

(وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ)، وحقيقته شرعًا: ٱتِّفاق مجتهدي عصرٍ من عصور أمَّة محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعد وفاته على حُكمٍ شرعيٍّ.

(وَهُمْ يَزِنُونَ) بالقرآن والسُّنَّة والإجماع (جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ؛ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ)، فلا يزنون الخلق بالصُّور والأموال، وإنَّما يَزِنون أحوال الخلق بالكتاب والسُّنَّة والإجماع.

(وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلَافُ، وَٱنْتَشَرَتِ الأُمَّةُ)؛ والسَّلف الصَّالح المرادون هنا هم: الصَّحابة، والتَّابعون، وأتباع التَّابعين.

وليس مراد المصنِّف إذْ ذَكَرَ ذٰلِكَ نفيَ إمكانِ وقوع الإجماع بعدهم، ولٰكِنَّ المقصود تعذُّر العلم به ومشقَّة ذٰلِكَ غالبًا؛ لأنَّ القلوب في عهد السَّلف كانت نقيَّةً، والعلومَ في نفوسِهم كانت قويَّةً، فكان ذٰلِكَ أدعى للوقوف على الإجماع، ثمَّ تغيَّرتِ الأمَّة بعدهم؛ فصار حصول الإجماع عسيرًا، لكنَّه ليس ممتنعًا.

قَالَ المُصَنِّفُ رحمه الله:

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَـٰذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ؛ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ، وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ؛ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ.

وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ**».

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا: أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ، وَالخُيَلَاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ؛ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَـٰذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لَـٰكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ

الجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي**»؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلَامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَمِنْهُمُ الأَئِمَّةُ، الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».

فَنَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

***

قال الشَّارح وفقه الله:

ذكر المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من طريقة أهل السُّنَّة والجماعة وأخلاقهم: الأمرُ بالمعروف والنَّهي عن المنكر (عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَة)؛ أي: بحسب الأمر الدِّينيِّ، لا بحسب الهوى والرَّأي.

وأنَّهم (يَرَوْنَ إِقَامَةَ) الشَّعائر الظَّاهرة كـ(الحَجِّ وَالجِهَادِ، وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ؛ مَعَ) أمرائهم الأبرار منهم والفُجَّار، فيشاركونهم في الخير، ويفارقونهم في الشَّرِّ، ويحفظون الأخوَّة الإيمانيَّة، والحميَّة الإسلاميَّة للمؤمنين جميعًا، (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ) لهم.

(وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ).

(وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ)؛ كصلةِ مَنْ قطعك، وإعطاءِ المحروم، والعفوِ عنِ الظَّالم.

(وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَٱبْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ)

(وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ، وَالخُيَلَاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ؛ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ)، وغيرها من أخلاق الظُّلم والبطْشِ.

والاستطالة على الخلق: هي التَّرفُّع عليهم، وٱحتقارُهم والوقيعة فيهم؛ فإن كان المستطيل ٱستطال بحقٍّ فقدِ ٱفتخر، وإن كان ٱستطال بغير حقٍّ فقد بغى، وكلاهما خُلُقٌ مُحرَّمٌ.

(وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا)؛ أي: رديئها.

وأهل السُّنَّة والجماعة هم في أقوالهم وأفعالهم ممَّا ذكره المصنِّف وما لم يذكره هم (مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

لٰكِنَّه أخبر صلوات الله وسلامُه عليه (أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ)، وهٰذِهِ الجماعة هي المتمسِّكة (بِالإِسْلَامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ) الَّذي جاء به النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي أهل السُّنَّة والجماعة بحمد الله: (الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ)؛ وهمُ القائمون بنُصرة الدِّين، فيخلُفُ بعضهم بعضًا فيه، فإذا مات أحدٌ منهم أقام الله غيره، هٰذا هو المعنى المحقَّقُ للأبدال دون غيره من المعاني المدَّعاة.

(وَمِنْهُمُ الأَئِمَّةُ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**»). متَّفقٌ عليه من حديث معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، ففي أهل السُّنَّة بحمد الله كلُّ فضيلةٍ، وهم براء من كلِّ رذيلةٍ.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأسمائه الحُسنى وصفاته العلا أن يحيينا على الإسلام والسُّنَّة، وأن يُميتنا على الإسلام والسُّنَّة.

وهَذَا آخر البيان على هَذَا الكتاب بما يناسب المقام.

تَمَّ الشَّرْحُ فِي ثَلاثَةِ مَجالِس
آخِرُهَا لَيْلَةَ الثُّلاثاءِ التَّاسِعِ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ
سَنَةَ سِتٍّ وَثَلاثِينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ
فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ